ورقة من تأريخ الاستشراق في النمسا :

يوسف فون هامر - پورجستال

بقلم انا ماري شيمل

كان وضع الدراسات الشرقية فى المانيا وسائر بلاد اوروبا غير مرض الى اواخر القرن الثامن عشر ،اذ لم يكن العلماء يعتبرون دراسة العربية الا امتدادا لدراسة العبرانية واللاهوت لاغير. وقد حاولنا ان نرى فى وصف حياة الاستاذ يوهان يعقوب رايكسه Reiske الذى نشرناه فى النسخة الرابعة من هذه المجلة المشكلات التى اعترضت من اراد تحرير الاستشراق من قيود علم اللاهوت.

اما وضع الاستشراق فى النمسا فيختلف عنه فى سائر بلدان الغرب. كانت هذه المملكة الواسعة مجاورة الدولة العثمانية، وقد حاصر الجنود الاتراك مدينة فينا مرتين، سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣. ولذلك وجب على النمساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء وبطرق حياتهم، وكذلك بلغتهم. فحفرت حروف عربية فى خشب لاجل الطبع لاول مرة فى سنة ١٥٥٤ فى فينا، وبعد قرن واحد أسس فى تلك المدينة كرسى للدراسات الشرقية، والف الاستاذ مِنينسكى Meninski كتاب النحو التركى وقاموساً تركياً نشره سنة ١٦٨٠، وما يثير الاسف ان اكثر نسخ هذا القاموس المفيد قد ضاعت فى اثناء محاصرة فينا عام ١٦٨٣، كما ضاعت الحروف العربية التى ابتدعها منينسكى؛ ثم عثر على هذه الحروف العربية المفقودة مرة اخرى فى سنة ١٧٥٠، وحسنت شكلا حتى صارت الآن اقرب الى قواعد الخط العربى. وقد طبع القاموس التركى المذكور للمرة الثانية سنة ١٧٧١ فى فينا.

وقد ادركت الامبراطورة ماريا تريزيا (١٧١٧–١٧٨٠) الكبيرة اهمية الدراسات الشرقية، فأسست لذلك دارا للعلوم خصصت لطلبة اللغات الشرقية الذين عزموا على دخول السلك الديبلوماسى. وكان نظام هذه المؤسسة المسماة بالأكادمية الشرقية Orientalische Akademie صارماً جدا، فكانت الدراسة تبدأ فى الساعة السادسة صباحا وتستمر الى الساعة التاسعة فى الليل. وكان على الطلبة ان يدرسوا اللغات الشرقية كل يوم لثلاث ساعات، وعلاوة على ذلك كانوا يتعلمون الفلسفة والتأريخ واللغة الفرنسية والفراسة والرقص وكل ماكان ينتظر من صفات فى شاب اصيل سيكون ممثلا لمملكته فى البلاد الاجنبية. وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، وكان الشبان يتعلمون فيها التركية بصورة جيدة دون ان يحصلوا على تعمق فى فقه اللغة او فى الطرق العلمية، بل كان مقصد هذا المعهد التطبيق الفعلى للغات فى المناسبات السياسية بين النمسا والدولة العثمانية. وكان الطلاب يدرسون قليلا من الشعر ويترجمون شيئا من الادب الفارسى كما نرى اثمار هذه الاعمال الادبية فى مجموعة اهداها اعضاء الاكادمية الى الامبراطورة سنة ١٧٧٨.

وكان احد طلبة المعهد المذكور يوسف هامر Joseph Hammer الذى مدحه العالم الكبير الالمانى ى. ج. هردر J. G. Herder (١٧٤٤–١٨٠٣) وهو احد اصدقاء جويته وكان يحب الادب الشرقى وان لم يتعلم اللغات الشرقية، وقال فيه: «ليت شعرى ان تزهر كل الآمال التى ننتظرها من المشرق فى اثار هذا الشاب ذى المواهب والالمام باللغات!»

توجد ذكريات يوسف هامر فى كتاب:
J. von Hammer-Purgstall, Erinnerungen aus meinem Leben. Bachofen-Echt, Wien 1940.

توجد عناوين تصانيف هامر كلها فى:
K. Goedeke, Grundriß der deutschen Literatur VII, 2, S. 747—770.



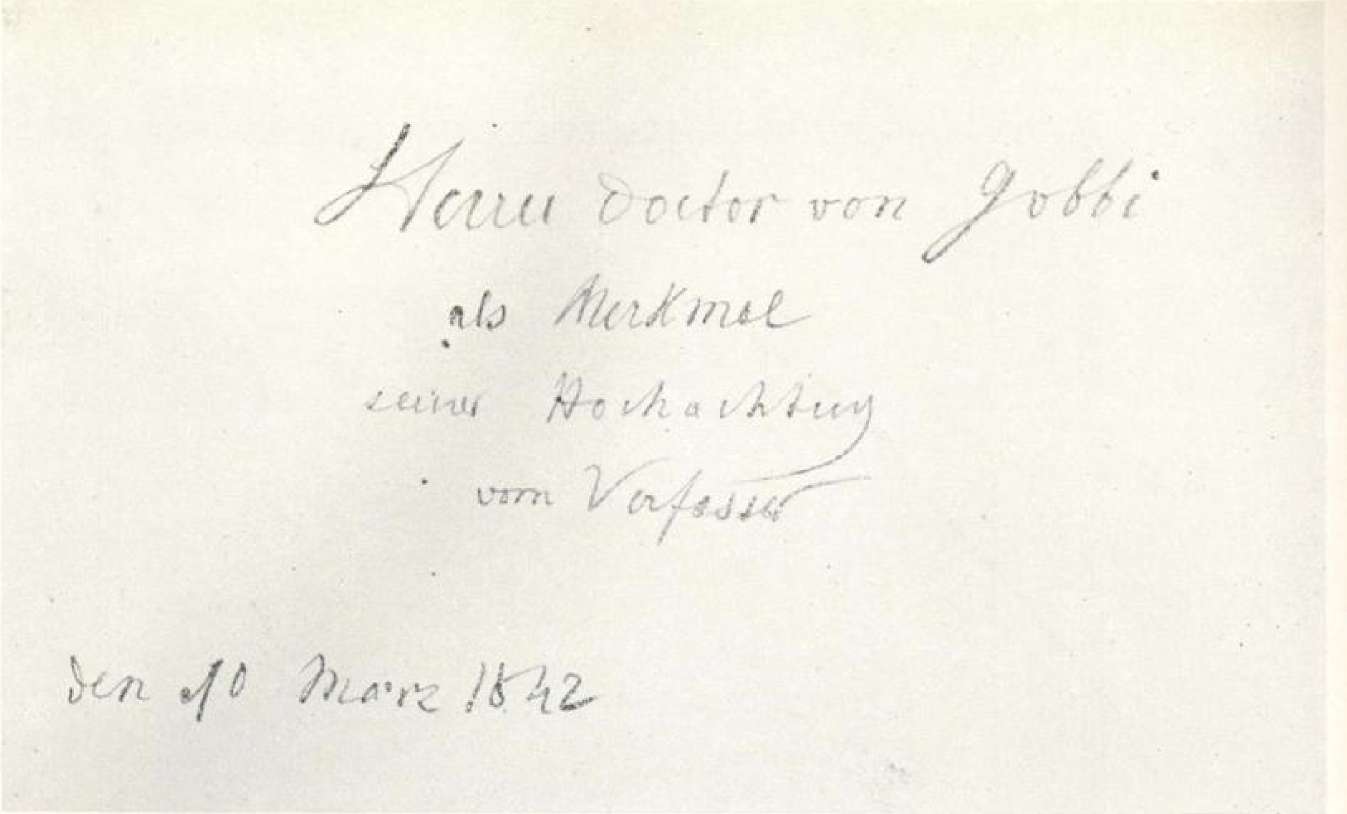
صورة يوسف فون هامر فى سنة ١٨١٧.

ولد هامر فى عين السنة التى توفى فيها الاستاذ الالمانى للغة العربية رايسكه المقدم ذكره، اى سنة ١٧٧٤، فى مدينة جراتس Graz فى النمسا الجنوبية (وما أطلق عليه لقب الاصالة «فون هامر» الا بعد سنة ١٨١١، ثم اضا ف الى اسمه لقب «پورجستال» بانتسابه الى الكونتس پورجستال التى توفيت بدون اولاد وسمحت له بهذا الانتساب، فصار يوسف فون هامر-پورجستال Joseph von Hammer-Purgstall واشتهر بهذا الاسم). وكان والده مأمور الحكومة النمساوية، ولما وجد فى ابنه استعدادا لتحصيل اللغات الشرقية ارسله الى المعهد الشرقى فى فينا حيث تعلم اللغات واشتغل فى المكتبة لمدة عشر سنوات الى ان بعثت به الحكومة الى السفارة النمساوية فى استانبول عام ١٧٩٩. وكان يتكلم التركية دون صعوبة ويجيد من العربية ما يكفى للمكالمة، اما الفارسية فكان يجيدها اجادة حسنة حتى انه حادث سفراء الشاه الايرانى عند زيارتهم فينا سنة ١٨١٩. وكانت علاقته بالادب والتاريخ اكبر منها بقواعد النحو، ومن عاداته انه كان يطالع القاموس بلا انقطاع ليتعلم كثيرا من الكلمات فى اسرع وقت ممكن؛ وكان يظن ان هذه الطريقة لابد منها لكل من اراد معرفة كاملة للغة ما. وكان هامر مشغوفا بالادب الشرقى، ولم يزل طول حياته يسعى فى نشر حب الشرق فى اوروبا كما انه الف فى شبابه قصيدة فى اهمية الاشتغال بالادب الشرقى.

وفى اثناء اقامته فى استانبول اهتم هامر اولا بحكايات الف ليلة وليلة التى كان قدترجمها جالان Galland الى الفرنسية فى اوائل القرن الثامن عشر (ونشر هو ايضا فيما بعد ترجمة فرنسية لهذه الحكايات)؛ ثم اهتم بحكاية عنتر، وما جذب قلبه اكثر من ذلك هو اشعار الحافظ الشيرازى التى أنشدها له درويش ايرانى. ومن ذلك الوقت عزم على ترجمة كاملة لديوان الحافظ واخذ باعدادها.

نقل هامر من استانبول الى مصر سنة ١٨٠٠ واقام بها لمدة عامين، ثم سافر الى انكلترا ورجع الى استانبول كاتبا للسفارة واشتغل هناك بالتأريخ والجغرافية وقام بتصميم «تأريخ الدولة العثمانية» الذى اصبح، بعد ثلاثين سنة، مؤلفه الاشهر. ولكن الحكومة النمساوية ارسلته بعدمدة الى ولاية مولدافيا عقابا له على بعض الخلافات التى جرت بينه وبين امرائه، وعاد سريعا الى فينا حيث أسس بموافقة الكونت رزووسكى Rzewuski مجلة «معادن الشرق» Fundgruben des Orients؛ ثم عين مترجما رسميا للحكومة النمساوية سنة ١٨١١، وانعمت عليه الحكومة بمنصب مستشار البلاط سنة ١٨١٨. وما زال هامر يكتب كتابا بعد كتاب، ومقالة بعد مقالة، وترجمة بعد ترجمة، وكلما زاد اجتهادا زاد كذلك فى عدم الاعتناء.. سعى هامر فى تأ سيس اكاديمية العلوم فى فينا ووفق فى ذلك سنة ١٨٤٧ بعد ابحاث دامت ١١ سنة، وصار الرئيس الاول لهذه المؤسسة العلمية، ولم يبقى فى هذا المنصب الا عامين. وتوفى فجأة فى سنة ١٨٥٦، وهو فى الثالثة و الثمانين من عمره، وكان يشتغل حينئذ بتأريخ الادب العربى، وقيل ان سبب وفاته سكتة القلب لشدة الحزن الذى اصابه عند سماعه خبر قطع تبادل المخطوطات العربية بين المكتبتين فى فينا و باريس...

فما الذى يمتاز به هذا العالم العامل الذى انقسم العلماء عند الحكم فيه قسمين؛ فمنهم من مدحه غاية المدح، كما فعل ذلك كثير من زملائه النمساويين مدعين انه كان «فخر الغرب؛ الفاتح الكبير الروحانى للشرق، مشعل العلم ومنارته، قطب الاجيال القادمة...». ومنهم من نقده أشد النقد، مدعيا ان علمه بالعربية قليل وتفاخره وطموحه اكبر بكثير من تعمقه فى العلوم. كان على رأس هذه الفئة الاخيرة الاستاذ فون ديتس von Diez، احد اصدقاء شاعرنا جويته، والف رسالة خاصة فى جهالة هامر وسوء اخلاقه، عيره فيها بانه «عديم المعرفة كليا بجميع اللغات وبانه يجهل التعابير والمواضيع جهلا لا سبيل الى التغلب عليه» واتهمه «بانه ذو اخلاق سفيهة لاتوصف ووقاحة لاحد لها ولا



اهداء بخط يوسف هامر.

نهاية...» ولا فائدة لهذه الكلمات الا فى التعبير عن اخلاق الكاتب نفسه.

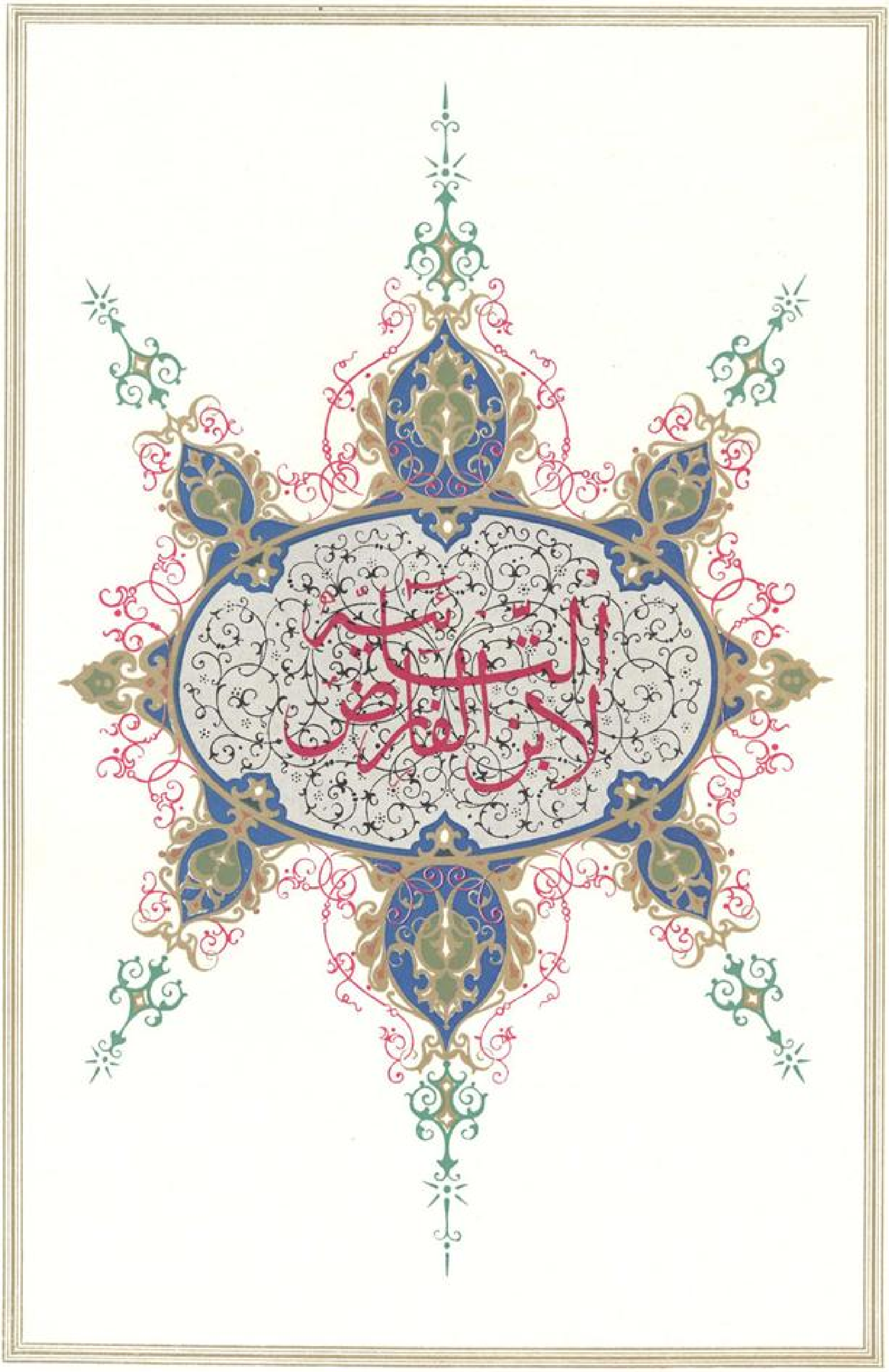
ولاشك ان هامر لم يكن عالما بحتا بمعنى الكلمة، وان كان قد الف اكثر من ٧٥ كتابا، بعضها ضخم جدا، ومئات من المقالات والتراجم. ويندر ان نرى فى تأريخ الاستشراق مثله: ذو افكار عالية وهمة جليلة، وفى الوقت نفسه ذو غيرة وطموح شديدين، الف من الآثار مالم يؤلف غيره قط، ومع ذلك فهو يفتقر الى الطريقة العلمية فى البحث؛ وقد جمع من الكتب واطلع من الاشعار على ما لم يطلع عليه احد قبله وربما بعده، ومع ذلك فانه لم يبق من مؤلفاته ماهو معروف فى تأريخ الاستشراق الا القليل؛ وقد حصل على معلومات يصعب على العالم العصرى الحصول عليها، ولذلك لابد من مطالعة بعض مؤلفاته حتى الآن وان لم نجد فى مئات الصفحات الا خبرا او خبرين مهمين.

ومع ان تأثيره فى تأريخ الاستشراق العلمى قليل لا يزيد على ما تثيره كتبه بين الفقهاء فى اللغة لرد غلطاته، إلا ان تأثيره فى تأريخ الادب الالمانى عظيم، فقد صار استاذ الشاعر الكبير جويته كما تعلم من آثاره الشاعر المستشرق ريوكرت Rückert (١٧٨٨–١٨٦٦) والشاعر الظريف كونت بلاتن Graf Platen (١٧٩٦–١٨٣٥). وما اسعد من يسمى استاذا ومعلما روحانيا لشعراء وطنه وادبائه!

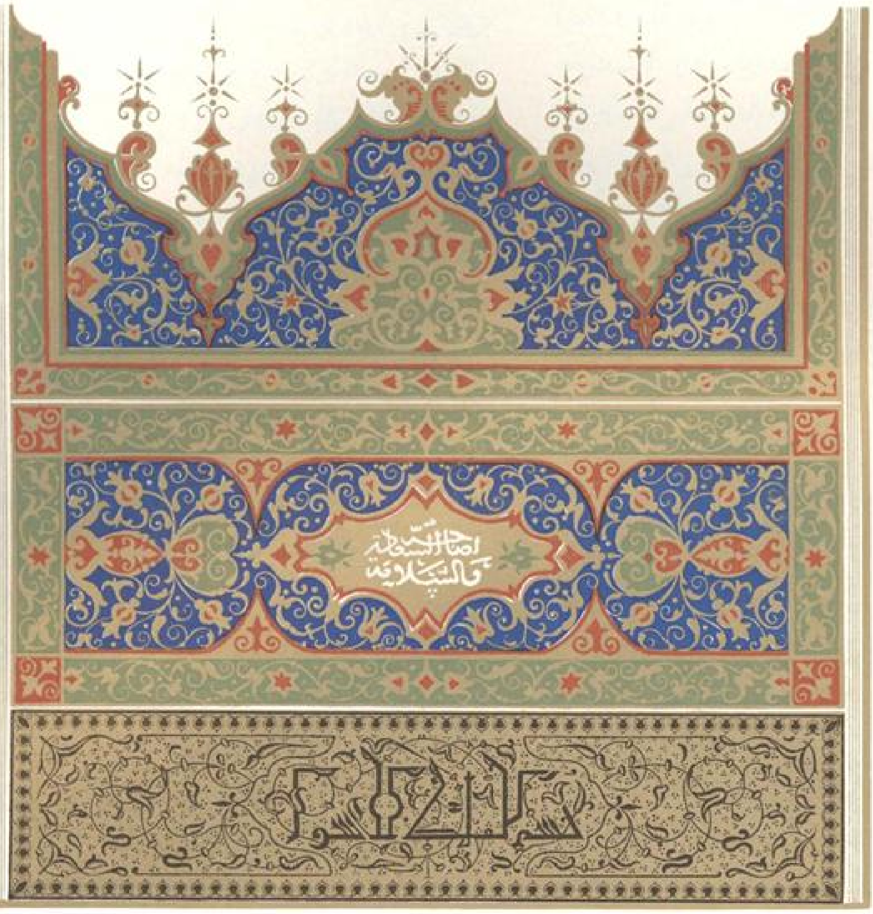
والآن، ماهى هذه المؤلفات التى اشتهر بها هامر، وماهو الطريق الذى سلكه فى اعماله العلمية والادبية؟

نشر هامر فى اواخر حياته رسالة «فى خواتم العرب والعجم والاتراك» ذكر فيها ثلاثة خواتم له، مكتوب على احدها «عبده السياح السامر يوسف هامر» وظن انه فى الحقيقة سامر، يحب المسامرة والحكايات الطويلة فى اجتماع الرجال والشيوخ، ويشبه اثره الادبى من جانب مسامرة كثيرة المواضيع مزهرة الاسلوب، مزينة بابيات واشعار، ذاكرة للحوادث والامور ووقائع الدهور فى دار الاسلام كلها، من التأريخ والفنون والتصوف والجغرافية وغيرها. وكان فى اسلوبه – وخاصة فى اواسط حياته – مقلدا للاسلوب الشرقى المزين بالسجع والتلاعب بالكلم، كثير التشبيهات والرموز لأن المؤلف قصد مواصلة بين التذكر الشرقى والتفكر الغربى، بين الروح الشرقية والعقل الغربى؛ وكانت جمل اثاره مطرزة بانواع الاسلوب الخطابى حتى انه ليصعب على القارىء الغربى ادراك معناها البسيط...

لما رجع هامر من استانبول الى فينا سنة ١٨٠٧ ناشد صديقا له، الكونت رزووسكى Rzewuski (١٧٦٥–١٨٣٢) تأسيس «مجلة استشراقية» مشتملة على مقالات حول العلوم الشرقية واخبار عن احوال بلدان الشرق. ووفق فى ذلك الاقتراح فسمى المجلة الجديدة «معادن الشرق»



الصحيفة الاولى للتائية الكبرى لعمربن الفارض نشرها هامرمع ترجمته المنظومة سنة ١٨٥٤ فى فينا.



سَقَتْنِي حُمَيَّا الْحُبِّ رَاحَةُ مُقْلَتِي   وَكَأْسِي مُحَيًّا مَنْ عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتِ

فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ   بِهِ سُرَّ سِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظْرَتِي

وَبِالْحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِي وَمِنْ   شَمَائِلِهَا لَا مِنْ شَمُولِي نَشْوَتِي

فَفِي حَانِ سُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفِتْيَةٍ   بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الْهَوَى مَعَ شُهْرَتِي

وَلَمَّا انْقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصْلَهَا   وَلَمْ يَغْشَنِي فِي بَسْطِهَا قَبْضُ خَشْيَةِ

Das arabische hohe Lied der Liebe, das ist Ibn al Faridh's Taijet in Text und Übersetzung. Zum ersten Male zur ersten Säkularfeier der K.u.K. Orientalischen Akademie herausgegeben. Wien 1854.

Fundgruben des Orients مشيرا الى انها ستحتوى على ذهب المعلومات التأريخية القيمة وجواهر الادب، واختار شعارا لها الآية القرآنية:

«قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم».
نشرت هذه المجلة بين السنتين ١٨٠٩ و ١٨١٧، وكان هامر مديرها الفخرى وكان يؤلف مع ذلك نحو سدس المقالات بنفسه، ونفهم من المحاضرة التى القاها فى ١ شباط ١٨٥٥ عندما نصب هيكله فى الاكاديمية النمساوية انه افتخر بهذه المجلة وادارته لها اكثر من افتخاره بسائر تآليفه. وفى الواقع يجد القارىء فيها مقالات حول مسائل مختلفة ومواضيع ذات اهمية، مكتوبة باقلام المستشرقين المشهورين فى اوروبا كلها، ومنهم العالم الشهير الفرنسى سيلفستر ده ساسى Sylvestre de Sacy الذى يعتبر الى الآن مؤسس الاستشراق العلمى وفقه اللغة العربية فى الغرب وهو استاذ اجيال من البحاث فى القرن التاسع عشر؛ كتب فى «معادن الشرق» مقالة عن الكتاب الفارسى المعروف بپندنامه (كتاب النصيحة) لفريد الدين عطار الشاعر المتصوف (المتوفى عام ١٢٢٠ عند هجوم اجناد جنكز خان على مدينة نيشابور). نجد ايضا للعلامة الفرنسى ترجمة لقصيدة الأعشاء المشهورة «ودع هريرة». اما زملاء سيلفستر ده ساسى الفرنسيون فألف كاترمير Quatremère المؤرخ الواسع الصيت مقالات فى مسائل تأريخ الاسلام، ونشر جرانجره ده لاجرانج Grangeret de Lagrange متونا وتراجم لاشعار الصفدى والمتنبى وايضا لمقامة من مقامات الحريرى. وهناك مقالة عالم اسبانى اسمه ى.ا. كونده Conde عن ابن خلدون وفلسفته، ومن الطبيعى ان عدد المستشرقين النمساويين فى هذه المجلة فاق عدد غيرهم، ونشر هناك شاب ذو موهبة شاعرية وهو روزنتسوايج – شوانـاو Rosenzweig-Schwannau (١٧٩١–١٨٦٥) لاول مرة ترجمة منظومة لبعض ابواب الاقصوصة المشهورة «يوسف وزليخا» للشاعر الفارسى مولانا عبدالرحمن جامى (المتو فى سنة ١٤٩٥) وصار هذا المستشرق فيما بعد من اشهر مترجمى الادب الفارسى فى اوروبا. وقد ود هذا النسل الرومانتيكى من المستشرقين الترجمة الشعرية للآداب الشرقية حتى وان لم يفهموا معنى الشعر العربى والفارسى بتمامه اوقصروا عن تحليله على قواعد النحو.

وعدا التراجم والمقالات عن مسائل الادب جمع هامر فى «معادن الشرق» معلومات تاريخية، مثلا عن حياة البخارى كما وصفها ابن خلكان فى وفيات الاعيان، او عن اسماء النجوم عند العرب للمتخصص فى هذا المضمار، الاستاذ ايدلر Ideler الذى كان قد الف فى مجلة هامر مقالة اخرى فى طرق تأريخ العرب والعجم وتقاويمهم فأصبحت المجلة ميدان مشترك للمستشرقين من المانيا وروسيا، من فرنسا واسكنديناڤيا؛ ولم يكتف هامر بنشر مقالات علمية فحسب بل زاد عليها ما سماه «مكاتبة من الشرق» وهى مشتملة على رسائل من علماء وبحاثين اوروبيين يسافرون فى الشرق منهم اولرش ياسپر سيتسن U.J. Seetzen الذى عاش فى مصر وقام بالحج فى زى عربى ثم سافر الى اليمن للحصول على معلومات علمية عن تأريخ اليمن القديم وقتل هناك؛ وارسل بعض اعضاء السفارات الاوروبية فى سوريا والعراق باخبار مهمة سواء عن حركة الوهابية ام عن بعض الحفريات فى بابل، عن تربية الخيول العربية ام عن مخطوطات عثروا عليها. وكان هامر يترجم ايضا مقالات واشعار وتوقيعات صادرة من ملوك العرب والعجم فى ايامه، وجلب دقة المستشرقين الى محصولات اقلام الادباءالمعاصرين فى الشرق الادنى، كما قال الاستاذ فيوك فى كتابه عن تاريخ الاستشراق فى اوروبا:

«علق هامر على هذه المراسلة اهمية كبرى خاصة لأنه لم يكن قد تعرف من قبل على وجهة النظر فى علم التاريخ التى لا ترى الا فى ما مضى موضوعا يليق بالبحث الجدى. وكانت نظرته هو الى حياة الشرق الغزيرة نظرة شاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الحوادث من العصور الغابرة حتى حاضر زمانه، ولم يكن يتردد فى الاستماع الى آراء معاصريه الشرقيين.»

ولم يدخل هامر فى هذه المجلة علم اللاهوت ولا الابحاث اللاهوتية واقتصر على اللغات الثلاث المهمة فى بلاد الاسلام وهى العربية والفارسية والتركية الا انه ذكر شيئاً من الادب الهندوستانى، ولكنه لم يحب الفلسفة الهندية التى كانت رائجة فى ذلك الوقت عند الفلاسفة الالمان الذين كانوا يعتبرونها اشرف فلسفة واعلى افادة لاشتياق الروح الانسانية، ويعتبرون الهندوستان وطنا لكل ماهو جميل وجليل، فهجا هامر هذه الطائفة احيانا فى رسائله.
وكان شاعرنا الكبير جويته يستفيد كثيرا من «معادن الشرق» وذكرها فى حواشى ديوانه الغربى ـ الشرقى شاكرا مديرها وهو يقول:

«إن كتيبى فى جميع فصوله يبرهن الى اى حد انا مدين لهذا الرجل المبجل ... كان قد وصل الى علمى منذ بضع سنوات نشاط حركة العمل المتزايد فى «معادن الشرق.» ولكن الوقت قد حان الآن فقط الذى اهلنى للحصول على

فوائد منها. إن هذه المجلة اشارت الى عدة جهات فقد اظهرت للعصر احتياجاته فأصر بتسديد هذه الاحتياجات وجعلني اومن بصدق اختباراتي من اننا نحصل في كل موضوع على مساعدة قيمة من معاصرينا إذا استطعنا ان نستفيد من فضائلهم ونظهر لهم شكرنا وامتناننا. هناك رجال ذوو معرفة واسعة يلقنوننا دروسا عن الماضي ويوضحون لنا الموقف الذى وصلنا اليه فى حاضرنا والذى يكون مسرح اعمالنا ويومئون الى الأمام مشيرين الى الطريق الاقرب الذى يجب علينا ان نسلكه. انه لمن حسن الحظ ان التصنيف البارع المذكور يجد تتمته بالمجهود ذاته ومع اننا نجرى بحثنا فى هذا المضمار ناظرين الى الخلف فأننا نرجع دائما وبكل سرور وعطف الى كل ما يقدم لنا هنا من جميع الجهات بشكل منعش يانع ومفيد.»

وبعد ذلك اشترك هامر ايضا بمنتهى النشاط فى تحرير مجلة اخرى اسمها Wiener Jahrbücher für Literatur نشر فى كل من مجلداتها المائة والخمس والعشرين مقالة أو نقدا او اكثر من ذلك، وكتب «مقالات فى كل ما كان يثير الاهتمام فى مضمار الادب العربى والفارسى والتركى والصينى والسنسكريتى والف تقييمات ومراجعات بجميع كتب السياحة التى كانت تحتوى على اخبار مغلستان وآسيا ومصر وسوريا مما ألف فى هذا القرن وماكتب بوجه عام عن الهندوستان و كشمير وافغانستان» وفضلا عن هذه الرسائل فى الكتب الجديدة التى يطول بعضها الى الغاية نشر هامر فى هذه المجلة ملاحظات واسعة فى كتب شرقية، او فى مقارنة كلمات فارسية والمانية، او ترجمة مديح بعثت به الحكومة العثمانية اليه، ومايشبه ذلك.

وان كان جويته قد مدح «معادن الشرق» فهوقد استحسن ايضا اقصوصة لهامر نشرت سنة ١٨٠٩ استنادا الى مصادر فارسية وتركية وهى حكاية «فرهاد وشيرين» التى نظم فيها شعراء العجم اشعار غير معدودة.

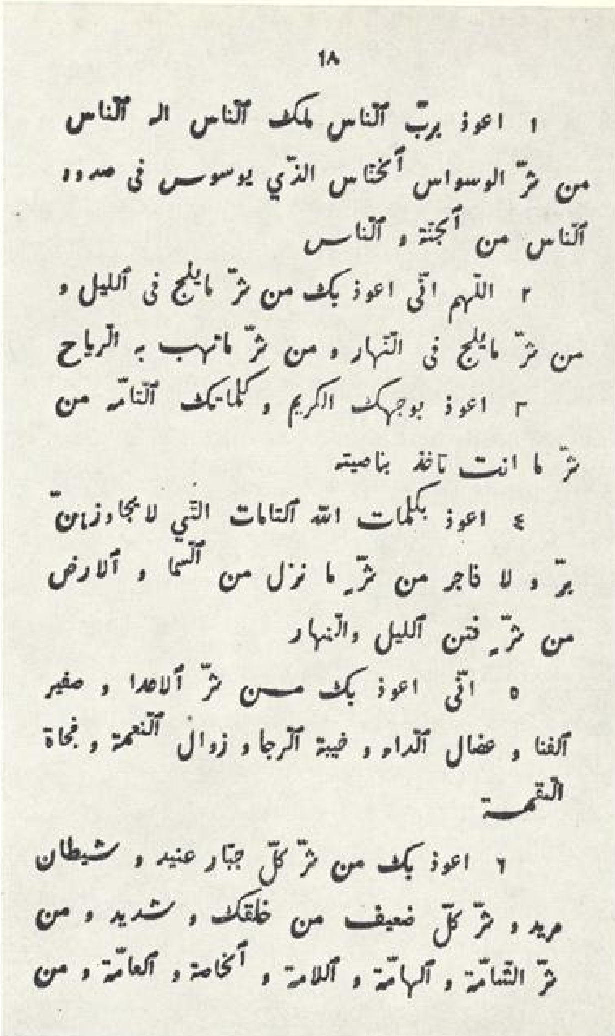
اما الكتاب الذى خلد اسم هامر وتوج اعماله فى حيز الادب الشرقى فهو ترجمته الالمانية لديوان الحافظ الشيرازى، وقد مضى ذكر اطلاعه الاول على اشعار هذا الشاعر العظيم فى اثناء اقامته فى القسطنطينية. وترجم هذا الكتاب مستفيدا من حواشى السودى التركى الذى يعتبر احسن شارح لاشعار الحافظ وكمل الطبع بعد اجتهاد اربع عشرة سنة (وقال فى مقدمة الكتاب انه اتمه فى «مرتى سبع سنوات» لانه احب رقم السبعة واللعب بالارقام حتى انه الف مقالة فى المجلة الادبية المذكورة فى اهمية السبعة عند اهل الغرب والشرق ولاشك ان موضوع «الرقم المقدس» مهم جدا فى تأريخ الاديان)

ولم تكن ترجمة هامر للحافظ اول ترجمة لهذا الشاعر فى لسان غربى وان كانت الترجمة الاولى التامة. فقد نشر منينسكى النمساوى سنة ١٦٨٠ غزلا للحافظ مع ترجمته اللاتينية، وكذلك هايد Hyde الانكليزى سنة ١٧٦٨، وترجم العالم النمساوى رويتسكى ١٦ غزلا له الى اللاتينية عام ١٧٧١، ولفت المستشرق الكبير الانكليزى و. جونس W. Jones اهتمام اهل الغرب الى هذه الاشعار فى كتابه المسمى Poeseos asiaticae commentarium libri sex الذى نشر فى ١٧٧٨، واستنادا الى اشغال جونس الذى كان حاكما فى كالكوتا طبع ديوان الحافظ فى هذه المدينة سنة ١٧٩١ وهو من اول الكتب التى اهتم الانكليز بطبعها فى الهند.

اما المستشرقون النمساويون فاستندوا الى التقاليد العثمانية فى شرح الحافظ وسائر الشعراء الايرانيين ولم يظن هامر الحافظ «متصوفا كاملا» لا يغنى الا عن العشق الالهى مستعملا رموز العشق المجازى. وقال مشيرا الى القاب الشاعر «شمس الدين» و «لسان الغيب»:

«إنه لم يكن هاديا مضيئا للدين، ولم يترجم لسانه الا كلمات الشهوة، لا اسرار العشق الالهى». واصر على رأيه هذا بيدان رئيس المستشرقين سيلفستر ده ساسى الفرنسى كان قد قبل الحافظ متصوفا بحتا كل كلامه اشارات ورموز. اما جويته فألف بين الرأ يين المتضادين لانه كان يعرف ان لكل كلمة معنى رمزيا يشير الى حقيقة اعلى منها ولا يمكن التفريق بين العشق المجازى والعشق الحقيقى، او بين الشراب المادى والخمر المعنوية فى اشعار هذا الشاعر كما قيل «المجاز قنطرة الحقيقة» وفهم جويته هذه الوحدة الروحانية بين المعنيين وان كان يميل الى ايضاحات هامر دون تفسير ده ساسى و المتصوفين.

وكانت ترجمة هامر فى شكل منظوم غير مصقول ومع انها لا تعكس الظرافة واللطافة اللتين امتازت بهما غزليات الحافظ إلا اننا نعتقد انها احسن من بعض التراجم الشعرية التى نشرت فيما بعد تحت اسم الشاعر الفارسى بأقلام شعراء المان لاعلم لهم باللغة الفارسية ولا معرفة بطرز الادب الشرقى على الاطلاق اتخذوا منه افادات العشق والشهوة واللهو ومدح الخمر فقط. ولما حصل جويته على ترجمة هامر قرأها مراراً ووجد فى الحافظ «اخا روحانيا» له والهمه هذا الكتاب بتأليف ديوانه الغربى — الشرقى الذى يشتمل على كثير من الافكار الشرقية. وافاد ريوكرت Rückert


١٨

١ اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة و الناس

٢ اللهم اني اعوذ بك من شر مايلج في الليل و
من شر مايلج في النهار و من شر ماتهب به الرياح

٣ اعوذ بوجهك الكريم و كلماتك التامة من
شر ما انت تاخذ بناصيته

٤ اعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن
بر و لا فاجر من شر ما نزل من السما و الارض
من شر فتن الليل والنهار

٥ اني اعوذ بك من شر الاعدا و صغير
الفنا و عضال الداء و خيبة الرجا و زوال النعمة و فجاة
النقمة

٦ اعوذ بك من شر كل جبار عنيد و شيطان
مريد و شر كل ضعيف من خلقك و شديد و من
شر الشامة و الهامة و اللامة و الخاصة و العامة و من

عن كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٢.

الشاعر المستشرق الكبير عن استفادة جويته من ترجمة هامر لديوان الحافظ قائلا للعالم النمساوى:
«إن اكثاركم من التآليف يجعلكم لا تتمكنون من تذكر كل ما كتبتم. فلعلكم لم تدركوا عند مطالعة كتاب جويته كم من السطور والمصاريع قد اقتبسهاهذا الشيخ عن كتابكم «الحافظ» كلمة بكلمة ...»
اما هامر فلم يعجبه طريقة جويته فى تغريبه للحافظ وطعن على الشاعر لاجل اشعاره الجديدة فى الطرز الغربى ـ الشرقى، وفضل على ديوان جويته الاشعار التى غناها شاعران المانيان اخران، احدهما ريوكرت المذكور واخرهما الكونت بلاتن، لان ريوكرت العبقرى حفظ الاسلوب الشرقى بتمامه حتى انه كان يطبق لاول مرة فى تأريخ الادب الالمانى شكل الغزل فقلده صديقه بلاتن فى هذا الاسلوب البديع وعرفا بذلك عامة القراء فى المانيا على اسم الحافظ الشيرازى والاسلوب الشعرى الشرقى.
وعندما رأى هامر ثمار ترجمته هذه للشاعر الفارسى فى الادب الالمانى اخذ فى ترجمة ديوان المتنبى الذى اعتبره الشاعر الاكبر للعرب، ونشر هذا الكتاب بعد ديوان الحافظ بسنوات عشر راجيا منه عين النتيجة الحسنة وقال:
«نعم المترجم إذا اصاب نجاحا وتمكن بواسطة عمله (كما توفق هو بواسطة ترجمته لأشعار الحافظ الفارسى) أن يؤثر على الشعراء الالمان مثل جويته وريوكرت وبلاتن ان يتابعوا توطين الشعر العربى الذى ارتدى حلة المانية...»
ولكنه لم يوفق فى هذة الترجمة، ولم يقبلها العلماء حسن القبول لكثرة اخطائها، ولم يشتغل الشعراء بها لخلوها من الجمال الشعرى وحشوها بعبارات صعبة الفهم على غير المتخصصين، بيد ان بعض اصدقاء المؤلف مدح الكتاب غاية المدح رغم انه لم يبق له اى اثر فى العلم او فى الادب الالمانى.
ومع ذلك لم يزل هامر يقوم بتراجم جديدة، فنشر (بعد ان ترجم اقصوصة «كل وبلبل، لفصلى التركى) سنة ١٨٢٥ ترجمة ديوان باقى الشاعر المشهور التركى (المتوفى عام ١٦٠٠ فى استانبول) ولاشك ان هامر اجاد فى معرفته للغة التركية وكان اكثر أنسا بها منه بالعربية، ولكن اسلوب الشعراء الاتراك فى القرنين السادس عشر والسابع عشر يمتاز بمشكلاته حتى انه يصعب فهمه وحل رموزه على الاتراك انفسهم. وقال هامر فى مقدمته لهذه الترجمة انه بعد ان طوى منطقة البروج فى سماء الادب التركى وجد هذا الشاعر القطب الاعلى والكوكب الازهى، مع انه لا ينكر ان القارىء الغربى قد يستغرب المبالغات الموجودة فى اشعار «باقى» والتلاعب بالالفاظ المتشابكة فى هذه الصنعة.

بعد ان تناول معاصرو هامر «ازهار الجنة وثمارها هذه من المشرق» (كذا وصف بعضهم هذا الكتاب) اشتغل المستشرق الذى لم تأخذه كيلولة ولا كسالة بترجمة الشعر المتصوف الفارسى «كلشن راز» للشبسترى (المتوفى سنة ١٤١٧) احد ممثلى افكار ابن عربى فى ايران. ولم يكن بالوسع فى ذلك الزمن تحقيق ترجمة صحيحة لآثار المتصوفة لان المنابع المهمة لتأريخ هذه الحركة الروحانية والرسائل القديمة الموثوقة كانت لاتزال مجهولة الى حد بعيد.
ولذلك حكم ايضا بالفشل على ترجمة اخرى نشرها هامر فى حيز التصوف وهى ترجمة منظومة (!) للتائية الكبرى لابن الفارض التى طبعت مع متنها العربى فى ابهى شكل سنة ١٨٥٤ بمناسبة العيد المئوى للمعهد الشرقى فى فينا. فقال هـ. ل. فلايشر H. L. Fleischer وهو اشهر المستشرقين فى اوروبا بعد وفاة استاذه ده ساسى فى هذا التأليف واصفا اياه بكل احتياط:

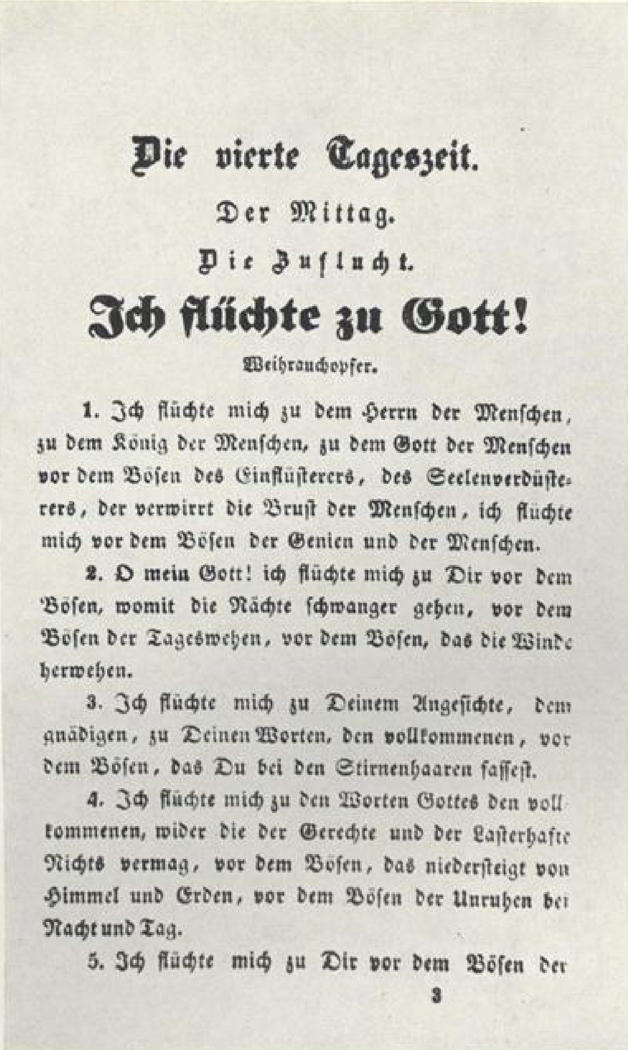
«اننا لانرى فى هذه الترجمة الملحقة الا طلائع فجر لايكفى لأكثر من ايضاح المعالم العامة والمقاييس الكبرى للقبة الصوفية المحيرة، بينما لايزال قسم كبير من التفاصيل غارقا فى حجب الغسق او فى غياهب الظلام الدامس: ومع ذلك فان من تمنحه السماء فى العقد التاسع من حياته المتوجة بالشهرة القوة على اختراق عالم الظلمات بحثا وراء منابع الحياة كالاسكندر الشاب، فانه يستحق ان ينال على جراءته الطليعية، دون ان تمس حقوق العلم، الاعتبار والتقدير حتى وإن لم يأخذ الخضر بيده ويوصله الى هدفه...»

اما العالم الانكليزى ر. ا. نيكولسون R. A. Nicholson الاخصائى الكبير فى الابحاث عن التصوف فعبر سنة ١٩٢٣ عن هذه الترجمة قائلا بايجاز: «لقد كان من سوء حظ تائية ابن الفارض أن يكون هامر مترجما لها»

وقال هذا المؤلف نفسه فى طريقة هامر فى الترجمة الشعرية للقصائد العربية انها ما كانت الا عبارة عن اقتباس كلمتين او ثلاثة من كل بيت وحشو الباقى بالمعانى التى تخطر فى باله فى تلك اللحظة... وتشبه افادة نيكولسون هذه النقد الذى كان قد نشره العلامة فلايشر السابق ذكره عندما نشر المستشرق النمساوى ترجمته لاطواق الذهب للزمخشرى فى مستهل سنة ١٨٣٥ فنشر فلايشر فى عين السنة تصحيحا لهذا الكتاب مع ترجمة جديدة ناقدا فيها بلا تردد اخطاء هامر وهفواته، وظن هامر ان هذا النقد الشديد من نتائج ظلم فلايشر وقسوته وان مقصده «الاساءة الى المترجم» فقط: ولذلك لم يزل يقاتل العالم المتبحر الالمانى بالقلم وهجاه فى ترجمة رباعى للشاعر التركى «نجمى» فى القصاب لان معنى اسم «فلايشر» هو «قصاب» ويصفه فى هذا الشعر فى لباس قصاب ظالم قاتل يقوم بجرح كل من دناه وبسفك دمائه...

لم يكتف هامر بترجمة دواوين الشعراء المشهورين فحسب بل كان هدفه الاعلى ان يعرض الادب الشرقى بكماله لاهل اوروبا. ولذلك جمع ماجمع من المعلومات واستخلص منها الاخبار المهمة عن تاريخ الادب الاسلامى فألف فيه كتبا ورسائل؛ واحسن ما صنف فى هذا المضمار هو تاريخ الادب الفارسى Geschichte der schönen Redekünste Persiens الذى نشر سنة ١٨١٨، واهداه للاستاذ الكبير فى حيز الاستشراق، سيلفستر ده ساسى. واستفاد جويته من هذا المؤلف واعترف بقيمته قائلا:

«... هذا التصنيف الذى ليس له مثيل، الذى ينقل الينا



Die vierte Tageszeit.

Der Mittag.

Die Zuflucht.

Ich flüchte zu Gott!

Weihrauchopfer.

1. Ich flüchte mich zu dem Herrn der Menschen, zu dem König der Menschen, zu dem Gott der Menschen vor dem Bösen des Einflüsterers, des Seelenverdüsterers, der verwirrt die Brust der Menschen, ich flüchte mich vor dem Bösen der Genien und der Menschen.

2. O mein Gott! ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen, womit die Nächte schwanger gehen, vor dem Bösen der Tageswehen, vor dem Bösen, das die Winde herwehen.

3. Ich flüchte mich zu Deinem Angesichte, dem gnädigen, zu Deinen Worten, den vollkommenen, vor dem Bösen, das Du bei den Stirnenhaaren fassest.

4. Ich flüchte mich zu den Worten Gottes den vollkommenen, wider die der Gerechte und der Lasterhafte Nichts vermag, vor dem Bösen, das niedersteigt von Himmel und Erden, vor dem Bösen der Unruhen bei Nacht und Tag.

5. Ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen der

3

عن كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٣.

نحن تاريخ الشعر الفارسى ... حقا ان لدينا الآن اساسا يستطاع ان تبنى عليه الآداب الفارسية بصورة بارعة واضحة وشاملة ...»

كان كتاب هامر هذا اجابة لرغبة العلماء الادباء الالمان فى ادراك مقاصد الفنون الجميلة والآداب فى العالم باسره يجعلوها أساساً للثقافة الاوروبية الجديدة، فكانت الحركة الرومانتيكية (فى حوالى سنة ١٨٠٠) فى المانيا وسائر بلدان الغرب قد ايقظت الميل الى حضارة الشرق والرغبة فى التعمق فى درس هذه الحضارات القديمة الفنية، اى حضارة «المشرق الاكبر» المعتبر اذ ذاك موطن الثقافة ومنبت الاديان ومنبع كل ما هو كبير وجليل فى تاريخ بنى البشر. واذا بهامر يقدم لمواطنيه منتخبات من ادب هذا «الشرق الاسطورى» ورسم لهم ما يشبه رسما تخطيطياً لتطور الادب الفارسى من ابتدائه الى القرن السابع عشر. وكان حب الالمان للايرانيين حديثا فى ذلك الوقت لان علماء اللغة قد اطلعوا على تجانس اللغتين الالمانية والفارسية ولاشك ان



عنوان لترجمة ديوان حافظ الشيرازى، ليوسف فون هامر. شتوتجارت سنة ١٨١٢.

هذه المناسبة ايقظت اهتمام الناطقين بالالمانية بتأريخ اقربائهم البعيدين.
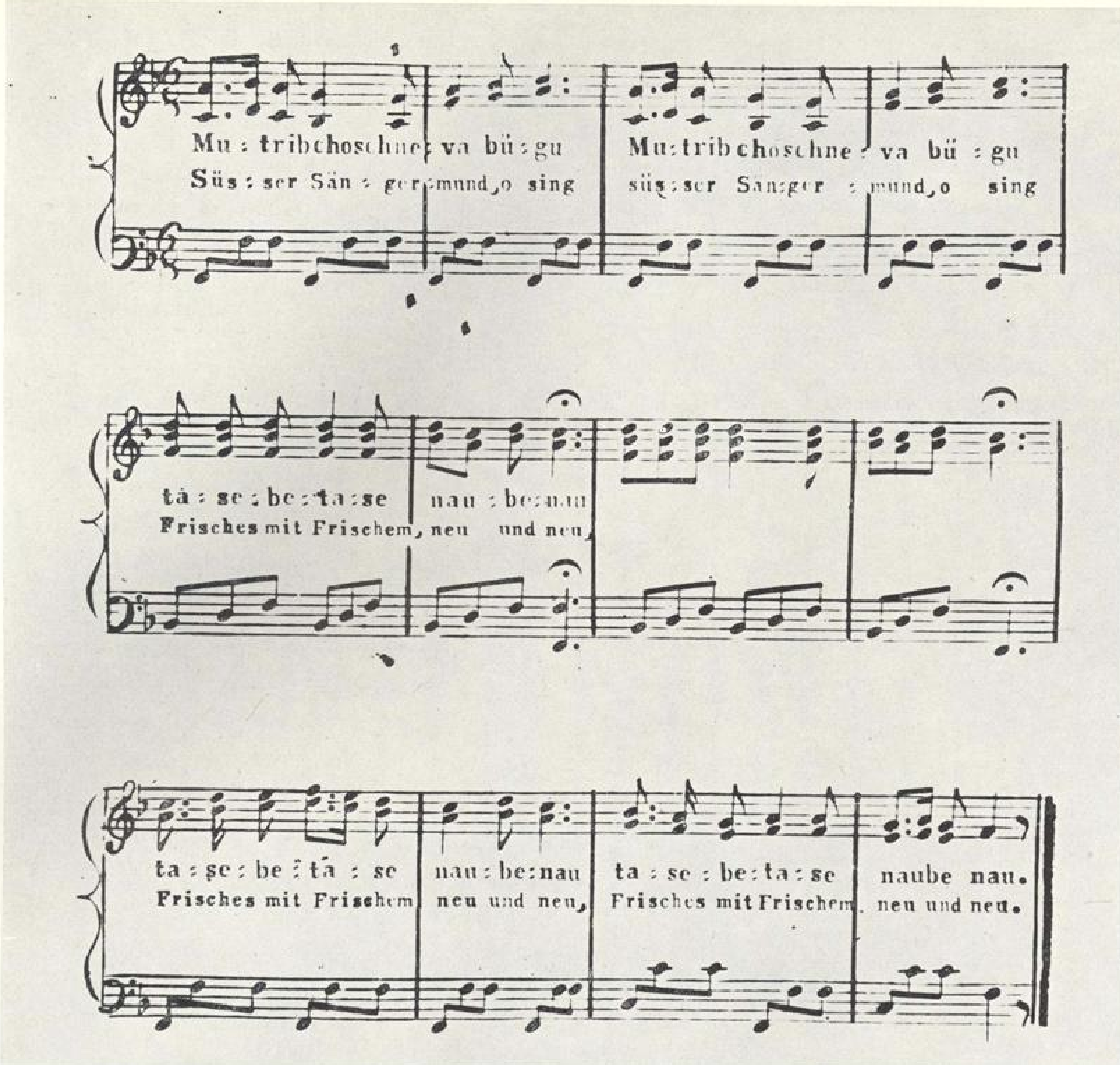
اما «تاريخ الادب الفارسى» لهامر فهو، كما قال المؤلف، «ثمرة مطالعة خمسين مثنويا وديوانا ذات اكثر من مليون بيت». قسم الكتاب سبعة فصول مبتدئا من زمان فردوسى الطوسى (المتوفى حوالى سنة ١٠٢٠) الاستاذ الاول للنظم الفارسى، وعدد هامر الشعراء السبعة الكبار الذين وجدهم فى هذه القرون، وهم فردوسى، ثم انورى (المتوفى سنة ١١٧٠) الذى اشتهر بالقصيدة المدحية، وعين الزمان نظامى (المتوفى عام ١٢٠٩) الذى بلغ نهاية الجمال فى اقاصيصه الشعرية الرومانتيكية التى قلدها فى العصور القادمة شعراء عديدون فى ايران وتركيا والهندوستان. وفى القرن الثالث عشر نجد سعدى الشيرازى (المتوفى سنة ١٢٩٢)، مؤلف اشعار وحكايا ت مليحة، منها «كلستان» المشهور، وكان معاصره المتصوف الاكبر مولانا جلال الدين الرومى (١٢٠٧–١٢٧٣). ثم فى القرن الرابع عشر نرى الحافظ الشيرازى (المتوفى تقريبا سنة ١٣٨٩) الذى لا كفؤله فى صنعة الغزل وفى ظرافة الافادة وحسن البلاغة. اما فى القرن الخامس عشر فقد جمع مولانا عبدالرحمن جامى (المتوفى عام ١٤٩٥) فى آثاره كل ماسبق من الفنون، اقصوصة كانت ام غزلا، حكاية كانت ام شعراً متصوفا. وترجم هامر منابعه الفارسية بلا نقد، كما عثر عليها، وترجم ايضا كثيرا من ابيات هؤلاء الشعراء، ورغم بعض اخطائه فان هذا الكتاب مازال يحتفظ بقيمته الى الآن لان هامر اوضح فى مقدمته اسلوب الشعر الفارسى واهم التعابير والرموز والايماءات التى يستعملها الشعراء والتى لا بد من درسها لمن اراد فهم الادب الشرقى.

وبعد ان نشر هامر هذا التأريخ بعشرين سنة، قام بتأريخ الشعر العثمانى باربعة مجلدات، تشتمل على اسماء ٢٢٠٠ شاعر ! ولا عجب ان العالم الذى أبى على نفسه التعب والعجز التى سنة ١٨٤٩ اثنى عشرة محاضرة بين فيها تطور الادب العربى ونشر متن هذه المحاضرات فى رسالة له، ونستدل من اسلوب بيانه انه الآن قدهجر الايرانيين واخذ يفضل عليهم العرب كل تفضيل. قال:

«ان الايرانى يخنق صوت الطبيعة لأنه يملأ فاه باللؤلؤ واوراق الورد بينما تتمكن الطبيعة من قلب الشاعر العربى مرسلة من اعماق صدره صدى يدوى فى افلال الصحراء».

ولما توفى هامر سنة ١٨٥٦ كان قد اكمل سبعة مجلدات ضخمة جدا لتاريخ الادب العربى الذى قصد منه جمع كل المعلومات التى كان العرب قد جمعوها عن آدابهم. ومما يبعث على الاسف انه لايستطيع احد الآن مطالعة هذه المؤلفات الهائلة لانها تفتقد الى الترتيب، ومما زاد فى صعوبة الفهم ان هامر على عادته ترجم الابيات باجمعها نظما، وان اعجبنا اجتهاد المؤلف الذى قد فاق الثمانين من عمره فلا يمكننا ان نعترف لهذا التأريخ الادبى بقيمة علمية او شعرية ...

وكان هامر طول حياته يرغب فى اعداد مجموعات شعرية من تآليف الشعراء الشرقيين، وكان قد ابتدأ بهذا الطرز فى رسالته المقدم ذكرها «شيرين» التى يحكى فيها اسطورة الملكة شيرين وعشق فرهاد البناء، استنادا الى اشعار شتى فارسية وتركية. ومثال اخر هو المجموعة المساة بعطر الورد (Rosenöl) وهى مشتملة على حكايات واخبار من بلاد الاسلام، وزد على هذا منتخبات من القاموس الفارسى «فرهنگ شعورى» تحت عنوان «اطواق الجواهر لابى



عن كتاب هامر: تاريخ الاداب الايرانية، نشر فيه لاول مرة النوتة الموسيقية لمقطوعة غزل لحافظ الشيرازى.

المعالى» Juwelenschnüre Abu'l-Maâlis؛ ولكنه لم ينل من المديح لهذا الكتاب ما كان يرجوه. و نجد بعد ذلك خلاصة للاقصوصة الفارسية الشعرية «وامق وعذراء» القديمة (سنة ١٨٣٣) كما الف فى ذكرى زوجته المرحومة عام ١٨٤٤ مجموعة جميلة من الادعية العربية مع ترجمتها الالمانية اسمها «ميقات الصلاة».

ومع ان هذه الترجمات والمجموعات وتواريخ الادب الاسلامى شغلت هامر لسنوات فقد اغتنم الفرصة ايضا لتأليف كتب شعرية ملهمة عن روح الشرق. فألف سنة ١٨١٨ رسالة سماها «البرسيم الشرقى» تحتوى على «اناشيد فارسية وندبات عربية ومدائح تركية» وفى كل من الاقسام الثلاثة توجد سبع قصائد تعبر السبعة الاولى عن فضائل الدين الايرانى القديم، إذ كان هامر يظن ان افكار الدين الزردشتى وقوانينه الاخلاقية كانت قابلة التقليد فى الادب الالمانى بيد ان هذه الديانة والحضارة الايرانية القديمة كادت ان تكون مجهولة فى اوروبا فى ذلك العصر. وعبرت قصائد هامر «العربية» عن طبيعة مصر وفيها يجذب الشاعر نظر القارىء وينقله من ظواهر الطبيعة الى بواطن الروح الانسانية. اما فى القسم الثالث فانه يبتدئ باشعار منسوبة الى يوم الجمعة وفيه مجموعة من امثال تركية. — ومما يشبه هذا الكتاب رسالة اخرى اسمها «حباب العطر» Duft-körner، مقصدها «صهر حرارة الشرق بتألق الغرب،

حركة العقل براحة القلب» (سنة ١٨٣٦). يختم هامر هذه المجموعة بقصيدتى «الرجل الشيخ عند مولده الخمسين» و «الشيخ فى الثالثة والستين» جامعاً فيها اقوال الشعراء فى الشيخوخة ووصفهم للعجز وشكاياتهم منه.

ولم يتورع هامر عن ولوج حقل التمثيل المسرحى، وأول موضوع وجده لائقاً للمسرح الالمانى هو «جعفر او سقوط البرامكة» (كتب سنة ١٨٠٧، وطبع فى عام ١٨١٣) وكان لتأريخ البرامكة شهرة خاصة فى اوروبا منذ اوائل القرن الثامن عشر وقد كان الف بعض المؤلفين مآس فى قضاء جعفر وعباسة، اخت هارون الرشيد (منهم م. كلينجر M. Klinger سنة ١٧٨٢)؛ ولماتناهت اخبار المسرحية المذكورة الى مسامع جويته رغب فى تدقيق اثر هامر هذا وكان قد قال لصديق لها قبل ذلك:

«انى اتلهف لمشاهدة «البرامكة»، وليست هذه هى المرة الاولى التى تتملك فيها شعور المرء حالة استثنائية فيرى نفسه مضطرا لان يعبر عن هذه الحالة المعقدة والغامضة بأسلوب التمثيلية او المسرحية. فاذا نظرنا الى هذا العمل بأكمله من هذه الوجهة الاخيرة ظهر لنا انه عمل بدون جدوى، ومع ذلك فان الرجل قد نقل الينا شيئاً لم يستطع التعبير عنه بالاسلوب القصصى او باسلوب الاحاديث وانى لابد مخطىء خطأً كبيرا اذا لم تكن لهذه المسرحية قيمة لا بأس بها من هذه الناحية..»

خيل لهامر تصنيف كثير من المآسى الشرقية ولكنه لم ينشر منها الا واحدة بعد نشر «جعفر» وهى «محمد او محاصرة مكة» (١٨٢٣). اراد المؤلف منها الرد على المأساة المشهورة للفيلسوف الفرنسى فولتير Voltaire (١٦٩٤–١٧٧٤) الذى كان قد صور محمدا الرسول فى شكل خائن منافق تابعا التقاليد الغربية القديمة وهادما من وراء تلك المسرحية الهجوم على الاديان باجمعها لا على الاسلام وحده. اما هامر فحاول فى هذه المسرحية الدفاع عن محمد ونواياه وان لم يوفق من اللحاظ الفنى الجمالى.

وفضلا عن هاتين المآساتين نجد هامر يكتب (وذلك ايضا فى عام ١٨٢٣) ثلاث مسرحيات خفيفة، مواضيعها ماخوذة من الادب الهندى والفارسى والتركى (Memnons Dreiklang).

ولكى يتحقق هدفه فى عقد الصلة بين الشرق والغرب لم يكتف هامر بترجمة اشعار شرقية الى الالمانية بل قام ايضا بترجمة افكار الامبراطور الرومانى ماركوس اوريليوس (المتوفى سنة ١٨٠) الى الفارسية ليستفيد اهل الشرق من نموذج من الحكمة الغربية (سنة ١٨٣١).

وان كان القارئ الصابر قد تابع تعداد آثار هامر الادبية الى الحد الذى وصلنا اليه فلا شك ان تأخذه الحيرة تجاه هذا الجلد وهذا الاجتهاد، ولعله يظن ان هذا الانتاج سيكفى لحياة رجل بل بضعة رجال. ولكنه سيزداد دهشة وتعجبا اذا داوم على متابعة فعالية هامر فى سائر ميادين العلم؛ لان العالم النمساوى كان مشغوفا لا بالاداب الشرقية فحسب بل بتأريخ الشرق على العموم، وقد نشر مؤلفاته الاولى فى هذا المضمار عند اقامته فى استانبول حيث حصل على كثير من الوثائق المفيدة لتأريخ الدولة العثمانية، والف نتيجة لذلك التحصيل كتابا عن دستور الدولة العثمانية وسياستها Des Osmanischen Reiches Staatsverfassung سنة ١٨١٦. وبعد ذلك بسنتين، فى ١٨١٨ نجده ينشر «تاريخ الحشحاشيين» الذى اهداه للمؤرخ الشهير ي. فون ميولر J. von Müller الذى لفت انتباهه الى مسائل تأريخية عندما كان هامر فى عنفوان الشباب. وظن هامر ان تأريخ الحشحاشيين «سيفتح بابا الى معادن التأريخ الاسلامى المجهولة». ولكن القارئ العصرى لايرى فيه الا تجربة ضعيفة لايضاح وقائع كثيرة التشاكل لم يمكن فى ذلك الزمن ايضاحها لنقصان المنابع وقحط البحاث وعدم توفر الوسائل العلمية. وهامر محق فى وصفه وضعية المؤرخ الباحث عن اى موضوع فى تأريخ الاسلام حيث يقول:

«إن المؤرخ ليشاهد امام ناظريه سطوة ممالك الدنيا العظيمة وقد انصبت اشعتها فى نقطة واحدة الى جانب قوة كل من الدول المتعددة وقد توزعت فى الف شعاع، وانه ليرى السير الاسطورية لأقدم الممالك الى جانب ادق التواريخ لاحدثها، كما يبدو امامه عهد الجاهلية قبل بعث الرسول، وايام المعرفة والهداية بعده، كل ذلك الى جانب معجزات الفرس، وبطولات العرب، وروح المغول المدمرة التى اجتاحت اطراف العالم، وحكمة العثمانيين فى اقامة دولتهم وتدعيمها ...»

ولما كان هامر طالبا فى المعهد الشرقى أخذ بمطالعة «كشف الظنون» لحاجى خليفة الاديب التركى (المتوفى ١٦٥٧) وكرر مطالعة هذا الكتاب مرارا ثم اضاف على المعلومات التى حصالها من الكاتب التركى المتبحر ماجمعه من الوثائق الرسمة والمخطوطات فكتب «تاريخ الدولة العثمانية» وهو عشرة مجلدات، ولكنه صنف ايضا خلاصة ذات اربعة مجلدات لهذا التأليف العظيم الذى مازال ذا قيمة واهمية الى الآن لانه يحتوى على اخبار لا توجد فى مؤلفات اخرى بيد ان اسلوبه صعب جدا، كثير التشبيهات يشبه اسلوب المؤرخين العثمانيين. ومع ذلك فقد بدئ فى

 فينا: الحوش الكبير لقصر شونبرون Schönbrunn (المبنى بين عامى ١٦٩٤ و ١٧٧٥). تصوير: هاينس برناتسيك، ووكارابروك، نمسا. ◀



المانيا بطبع واصدار جديد لهذا التأريخ سنة ١٩٦٣.
وفى الفترة نفسها جمع هامر سير الخلفاء والامراء والملوك الكبار ونشر خمسين منها فى «ايوان الصور لحكماء المسلمين الكبار فى القرون السبعة الاولى للهجرة» Gemäldesaal يعالج فيه مفصلا سير الملوك المشهورين فى بلاد الاسلام، مبتدئاً بسيرة الرسول الى ان ختم كتابه (وهو ٢ مجلدات، نشر بين العامين ١٨٣٧ و ١٨٣٩) بسيرة قلاوون المصرى.
ولكنه كف عن معالجة تاريخ الاسلام باسره معترفا «ان عروق الذهب والكنوز الخفية فى تاريخ العرب والفرس والاتراك العثمانية والتتر ليست معروفة معرفة كافية والذهب الخام الذى تحتويه هذه الكنوز لم تجر عليه لحد الآن عمليات الغربلة والتصفية بشكل يدعو الى الراحة ولم تفصل الجواهر الثمينة بعد من التربة الملتصقة بها ولم يصقل بعد جيدا بحيث يمكن ان يؤلف منها الآن عمل فنى تاريخى عظيم.»

ومع ذلك تجاسر هامر على تأليف تأريخ للاولاد مونكه سبط جنكز خان الذين اشتهروا باسم «السلالة الذهبية» فى القبجق فى جنوب روسيا؛ وسبب هذا المؤلف الذى صنفه هامر اجابة لمسابقة علمية اقامتها الاكادمية الامبراطورية الروسية مناقشات طويلة ومعارضات قبيحة بين هامر وزملائه الروس الذين رفضوا الكتاب تماما ولم يعتبروه جديرا بالجائزة الموعودة. ولم تمنع تلك النتيجة الحزينة العالم النمساوى من ان يكتب رسائل اخرى فى تأريخ الاتراك والتتر، منها تاريخ الايلخانيين فى ايران (١٨٤٢) وتأريخ ملوك القريم (١٨٥٦). وترجم ايضا تأريخ وصاف المؤرخ الفارسى المشهور بصعوبة اسلوبه المزهر المسجع. هذا والكتب المذكورة كلها لا تستحق الذكر الا لانها شاهدة على اجتهاد هامر الذى لم يهتم بمشكلات المتون ولا بانتفاء وجود المصادر الكافية لاضاءة ظلمات هذه الادوار التأريخية غير المعروفة بل كتب ماكتب كأن القلم يحرق اصابعه وكان لا يضيع وقتا فى تنظيم مؤلفاته او فى تصحيحها ولم يقبل اى نقد لطريقته العلمية.
إن ماذكرناه من الكتب حتى الآن هى الكتب الكبيرة الحجم، ولكن هامر ألف علاوة عنها رسائل غير معدودة فى مسائل مختلفة، فى البيزرة وفى الموسيقى الشرقية، فى دين ميتراس الايرانى وفى الفرسان الرهبان، ولم يهمل تاريخ وطنه النمساوى ولا الادب الاوروبى فى منشوراته التى تكون فى الواقع مكتبة خاصة ذات مئات الرسائل ....
ادعى هامر انه لم يعرف الطموح ولا الغيرة الشخصية وانه لا سبب لفعاليته العظيمة الا الهمة العليا وحب العلم. وقال اخرون انه كان يحب المناقشات والتفاخر حتى ان هذه الاوصاف غير المحمودة افقدته كثيرا من اصدقائه. ومثال مشهور لهذه الغيرة هو مناقشته مع تلميذه ريوكرت السابق ذكره حول تلفظ بعض الكلمات الفارسية، وايضا لان ريوكرت قد وفق فى ترجمة باعثة الحيرة لمقامات الحريرى؛ وان كان هامر قبل هذه الترجمة الشعرية المسجعة لأول وهلة بيد السرور ونظم فيها رباعيا معبرا عن تمنيه الخالص بان هذا الكتاب سيطبع بالذهب على البردى، الا انه قام بعد مدة بانتقاد نفس الترجمة وبتوجيه اشد الوان الملامة للمترجم العبقرى مدعيا انه نفسه ابدع الاسلوب المسجع فى الادب الالمانى وان ريوكرت غير معنى الكلمات والتعابير لاجل مقاصد جمالية ...
ولكن علينا ان نعترف ان هامر كان يمد مواطنيه وتلامذته كل عون اذا ارادوا درس الشرقيات والتحصيل على معلومات فى مواضيع شرقية. كما قال فى رباعى له، مشيرا الى معنى اسمه هامر وهو «مطرقة»:

Ich bin genennet Jussuf Hammer,
Doch heiss' ich nicht für alle gleich:
Den Freunden Jussuf in der Kammer;
Die Feinde trifft des Hammers Streich.

وسميت يوسف ذا المطرقة
ولكن اسمى ليس سواء:
فى الدار بين الاحبة يوسف
لكن على الخصم تهوى المطرقة.

واجاد احد المستشرقين الالمان وهو آلوارد Ahlwardt (١٨٢٨–١٩٠٩) فى مقالته عن خلف الاحمر حيث يصف ترجمة هامر لقصيدة هذا الشاعر كثمرة من اثمار خياله، لما اعترف بخصوصية هامر قائلا:
«كان هدفه أن يفهم الشرق من جميع نواحيه وأن يقود العالم الاوروبى لادراك الشرق كما انطبع فى عقله. هذا يفسر لنا سر نشاطه الفذ والدافع الداخلى لاقتباسه المعارف والسعى الى اطلاع الغير على المعلومات وهذا سبب انتاجه الخصب لكتب كبيرة وسبب كده وعمله المتواصل دون كلل طالما كان فى حيز النهار».
ومع كل اخطائه اللغوية و النحوية، ومع ان اكثر مؤلفاته العلمية لم تثر الا نقد المستشرقين الشديد، فانه يجب على القارئ الاعتراف انه لا يوجد مستشرق فى تأريخ الثقافة الالمانية أثر فى ادب عصره تأثير هامر الذى وفق الى الهام شاعرنا الاكبر بغناء اشعاره الخالدة فى ديوانه الغربى- الشرقى.

وقد ضربت حكومة النمسا وساما تذكاريا لهامر، منحوتا عليه
إنه وصل بين آسيا واوروبا